



الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإنه لا يخلو حدث من مواعظ وعبر، ودروس وفوائد، مهما كان الحدث صغيراً أو حالة فردية خاصة، فكيف إذا كان الحدث كبيراً، يعكس آمال أمة عريقة، وطموحاتٍ شعبٍ كان نبضَ الجمال والحياة في الكون!! إنه الثورة الشعبية السورية المباركة، التي أعادت للأمة الأمل بفجر جديد، وصبح قريب، والتي فجرت فيها ينابيع البطولة والفاء، وفتّحت أيادي الخير والعطاء، فصبرت ترى الطفل بطلاً مقداماً، والمرأة مربية مجاهدة، وترى الصدور العارية تتقدم إلى الرصاص غير هيابة ولا وجة.

هيا بنا نطوف الأرضي السورية، نتنقل مع الثوار، نجلس هنا ساعة، وهناك أخرى، لنعلم بعد ذلك أن الحياة في هذه الأمة حقيقة لا مجرد آمال، وأن الخير في هذه الأمة كبير، لا يقتله ظلم الطغاة، ولا تمحوه جهالة الجهل، والآن أدعكم مع الحلقة الأولى:

الساعة الأولى: هكذا فلتكن الأمهات:

حدثتنا أم مهند قالت: إن بيت أخي فيه أربعة أولاد، اثنان في الابتدائية واثنان في المرحلة الإعدادية، كانت أمهم تقوم كل يوم من أيام رمضان بعد الإفطار بتجهيزهم، فتلبسهم لباسهم... حتى حذاء الرياضة، ثم تعطيهم لفحات يلغون بها وجوههم كي لا يعرفهم أمن النظام وشبيحته المجرمة، وعند الجاهزية تقول لهم: هيا يا أبنائي اخرجوا مع الأحرار، فيخرج هؤلاء الصغار إلى ساحة التجمع والظهور في همة عالية وعزيمة لا تلين.

تقوم الأم بعد خروج أبنائها بحمل الماء، وتتسلل إلى المظاهرة، دون أن يعرفها أحد، حيث أنها متسترة بحجابها، فتقوم بسقاية الثوار وإعانتهم على الصدوع بالحق والجهر به، وتحفيزهم وتشجيعهم على المضي والاستمرار؛ وذلك حتى إسقاط هذا النظام المجرم الغاشم.

فانظروا وتأملوا كيف تقوم هذه المرأة الباسلة بإعداد أبنائها للمهامات الكبار والخطوب الجسمام، ثم تأبى القعود عن

المساعدة والنصرة، وهي المرأة المعدورة، فتخرج بنفسها تسقي الثوار، وتطفه لهيب العطش، حتى تبقى حناجرهم مفردة بالحرية والكرامة.

الساعة الثانية: ذكرنا باب النصر

اتصلتُ بقريب لي في تركيا، كان قد خرج من حلب؛ لما فيها من ظلم وقهر وتشبيح لهؤلاء الشباب الذين خرجوا مطالبين بنسائم الحرية والكرامة، وأريج العدالة والمساواة، سأله عن أحواله وأحوال الأهل في حلب، فذكر لي من المأسى ما تشيب لهوله الولدان، وأخبرني أن النظام قد زرع المدينة بالعصابات الأمنية والشبيحة المرتزقة خوفاً من قيام حلب؛ وذلك لما يعلم من خطورة حراك الشهباء وأثره البالغ في زعزعة سلطانه وزوال حكمه الظالم.

قال لي: أبا عبد الله، أتعلم من بجواري؟
قلت: لا.

قال : بجواري علاء منصور أوسو (المعروف بالنقيب نمر) سُلِّمَ عليه. أقيمت عليه التحية والسلام، وسررتني جداً أن أتحدث مع الرجل القاسم حديثاً من معركة قوية، خاضها شمالي حلب مع عصابات النظام البعثي القاتل.

وبعد أيام قليلة، جرت مهافنة بيني وبين أبي محمد (قربي)، فسألته فيها عن صاحبنا النقيب، فقال لي: أتعلم يا أبا عبد الله؟ حينما جيء بالنقيب إلينا، نقلناه إلى المستشفى، فوجدنا في جسمه أكثر من خمسين شظية، فلا تكاد تجد مكاناً في جسده إلا وفيه أثر إصابة... وبعد العلاج جلس عندنا للنقاهة والراحة، كي تلتئم الجروح، وتعافي الحروق والقرح... سبحان الله! لقد ذكرنا بأنس بن النضر-رضي الله عنهـ ! حيث جاء عن أنس بن مالك-رضي الله عنهـ ، قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ (يوم أحد) سبعين ضربة، فما عرفه إلا أخته، عرفته ببناته.

إلا أنه جاء الخبر أن العصابات الأسدية قد اجتمعت واتجهت إلى مدينة إعزاز، تريد قصف المدينة واقتحامها... فانتفضن البطل النمر، وتهيأً للخروج، قلنا له: لا يا أخي أنت مصاب، فلا تذهب ففي الشباب هناك خير وبركة، فأبى وأصر، وانطلق إلى مدينة إعزاز، ليدافع عنها، ويحمي أهلها... الله أكبر، الله أكبر، ما هذه البطولة؟! وما هذه التضحية؟!

وصل بطلنا مدينة إعزاز، وخاض المعارك بكل بطولة وبسالة، لقد جاء هذه المعركة، وهو يشعر أنها معركة مختلفة، معركة فريدة، لذلك ترك سرير النقاوة والتمريض، وأقبل على ساحات البطولة والدفاع.

أجل! إنها معركة فريدة، بالنسبة إلى بطلنا النمر؛ لأنها آخر معركة له، لأنه فيها انتقل إلى إله العظيم، وإلى رب الرحيم، فقد استشهد في هذه المعركة...!!

ولكن كيف استشهد؟

اتجه المقاتلون الشرفاء إلى مينى الأمن العسكري في إعزاز، المبني الذي يلاحق الثوار ويطاردهم في كل مكان، المبني الذي يمارس التشبيح والإذلال لأحرار المدينة... حاصروه مدة عشرين يوماً، قرر الثوار أن يتسلل اثنان منهم إلى المبني ليقوما بتفجيره من الداخل... تقدم الثوار إلى هذا المبني، ولم يكن بطلنا خائفاً أو حريضاً على الحياة، فقد تقدم وجعل من نفسه درعاً واقياً لإخوانه... انطلق مع أحد زملائه للتسلل إلى داخل المبني... فجاءته رصاصه من قناص، فاخترقت رقبته من جهة اليمين... فأسلم البطل الروح إلى باريها، وجاد النمر بروحه دفاعاً عن أعراضنا... أسأل الله الجواب الكريم أن يوجد عليه بالقبول، وأن يرفع درجاته في أعلى علّيين.

الساعة الثالثة: الأم وابنها الوحد

حدثنا الشيخ محمد ياسر، فقال: أوصى شاب مجاهد في ربع الشام زميله أن يبلغ أمَّه التحية والسلام، ويستأذنها في البقاء مع المجاهدين طلباً للحرية والكرامة وردعاً للظلم والطغيان.

قال لزميله: سُلِّمَ لي على أمِّي، وأبلغها أشواقِي وتحياتي، وأخبرها أنني بخير وعافية، لن أعصي أمرها ولن أردد طلبها؛ لأنني

ابنها الوحيد، فإن أرادت أن أعود إليها: أجالسها وأؤانسها في وحدتها ووحشتها رجعت، وإن أذنت لي في الجهاد في سبيل الله تعالى، والبقاء مع الشباب الذين نذروا أنفسهم، وتبرعوا بأرواحهم ودمائهم لله تعالى، فإبني باق معهم، أطلب الجنة، وأنشد رعد الظلام...

وصل صاحبه، وأبلغ الأم المسكينة التحية والسلام، وأخبرها برسالة ولدتها الوحيد، قالت له: ابني لا يزال حياً؟ قال: نعم. قالت: رأيته بعينيك؟ قال: إني والله، وأنا جئت منه إليك، وقد حملني هذه الرسالة...

ذرفت الأم دموع الشوق إلى رؤية ولدتها، تريد أن تضمه إلى صدرها... فهي تتطلع إلى لقاء وحيدها، ولكنها تستشعر أهمية أداء الواجب في حفظ الأعراض ونصرة المستضعفين... تجلدت أمام طلب ابنها وتصابرت تجاه قلبها المتقطّر... فحمدت الله على سلامة وحيدها، ثم ردت قائلة: قل له ليبق مع إخوانه وزملائه المجاهدين، فقد وهبته إلى الله تعالى... ثم أجهشت في البكاء!!

الساعة الرابعة: الشاب المغامر:

خرج المصلون من جامع آمنة بعد أداء صلاة الجمعة، في سيف الدولة (حي من أحياه مدينة حلب الشهباء) الحي الذي كان سباقاً في المظاهرات المناوئة للظلم والاستبداد، والدكتatorية والطغيان، وفي نصرة المدن السورية المنكوبة. خرجوا... فتقتهم الشبيحة والعصابات الأسدية بالعصي الكهربائية والسياط... فمن صاح منهم: الله أكبر... انهالوا عليه بالضرب... تألم فتى صغير لا يبلغ عمره عشرين عاماً، ثم ازداد ألمه حينما رأى المظاهرة المرتقبة صارت مسيرة مؤيدة للنظام المجرم.

فكـر الفتـى قـليـلاً! ثـم هـرع مـسرـعاً! دـخل بـين الشـبيـحة يـهـتف مـعـهـمـ، ثـم طـلـب مـنـهـمـ أـن يـحملـوهـ لـيـهـتـفـ لـبـشـارـ وـالـنـظـامـ، فـلـمـ عـلـاـ ظـهـورـ الشـبـيـحةـ رـاحـ يـصـدـحـ: الشـعـبـ يـرـيدـ إـسـقـاطـ النـظـامـ... اللهـ أـكـبـرـ... اللهـ أـكـبـرـ... حرـيةـ لـلـأـبـدـ... انـهـالـ الـمـجـرـمـونـ عـلـيـهـ بـالـضـرـبـ بـالـعـصـيـ وـالـهـرـوـاتـ... وـالـدـمـ يـسـيلـ مـنـهـ... وـهـوـ مـنـطـلـقـ مـتـابـعـ تـغـرـيـدـاتـ الـثـورـةـ... حـتـىـ أـنـزـلـوـهـ وـسـحلـوـهـ... وـهـوـ يـضـحـكـ، حـتـىـ غـداـ جـثـةـ لـاـ صـوتـ لـهـ، وـلـاـ حـرـكةـ مـنـ شـدـةـ التـعـذـيبـ!!

الساعة الخامسة: نور الله بصرك كما نور بصيرتك!!

حدثنا أحد الناجين من الاعتقال، فقال: اعتقلت في إحدى المظاهرات في مدينة حلب، ثم حُولت إلى الأمن الجنائي، فرأيت عجباً، رأيت شاباً ضعيف البصر جداً، حتى لا يكاد يبصر شيئاً، رأيته وقد تورم رأسه ووجهه! قلت له: ما هذا؟ ما هذه الأورام...؟ قال: خرجت في مظاهرة، ووقيعت في أيدي الشبيحة، فعلوا بي من اللكم والضرب والتعذيب... ما فعلوا.... ما فعلوا....

قلت: يا أخي أنت معدور، أنت ضعيف البصر، لا تخشى على نفسك؛ لماذا خرجت، وعرضت نفسك لمثل هذا؟ قال: يا أخي إن الله استنهض الخفيق والثقيل، فكيف أقعد، ولا أنهض مع الثوار، والله تعالى يقول: "إِنَّفُرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ"؟!

قال أيضاً: يا أخي، نحن أسرة مؤلفة من أب وأم، وأربع بنات، وأنا الأخ الوحيد لهن، قال أبي: يا بني نحن اثنان، نتقاسم الأدوار، واحدٌ منا يخرج إلى التظاهر والصدع بكلمة الحق أمام هذا السلطان الجائر، وآخر يبقى مع النساء يؤدي واجب الحماية والرعاية.

قال: فخرجت أنا، فحصل ما ترى!!

الساعة السادسة: كيف اصطاحت دوماً مع حرستا؟!

لم تكن العلاقات بين أهالي دوما وأهالي حرستا جيدة، فهي لا تخلو من منازعات ومشاكل لا تکاد تجد لها حلّاً، ولا يمكن أن تعرف لإصلاحها سبيلاً.

خرج أهالي دوما في مظاهره حاشدة، وصمّموا أن يتوجهوا مع المناطق الأخرى من دمشق وريفها إلى ساحة العباسين في وسط العاصمة السورية، انطلقاً، وهم يهلكون ويُنكرون، ويُتغنون بآناشيد الثورة وزغاريدها... حتى اقتربوا من حرستا. فماذا جرى؟

كان أهالي حرستا محاصرين من الشبيحة والعصابات الأمنية، فلما اقترب الدومانيون أصبح الشبيحة بين ثوار دوما وبين ثوار حرستا، فراح الدومانيون يصدحون بكل ما أوتوا من قوة: الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر... !! وبمثل ذلك صدح شباب حرستا... !! فلما رأى الشبيحة الأشجار أنهم وقعوا في حصار، هرعوا هاربين، يجرّون ذيول الخيبة والخذلان والعار. عند ذلك التقى أهل دوما بأهل حرستا، والحب يغمرهم، والسكنينة تغشاهم، فتعانقت القلوب، وتالت الأرواح، وزال ما كان بينهم من صدأ وضغينة وخلاف، وانطلقاً جمِيعاً إلى ساحة العباسين.

وصدق القائل:

كونوا جميعاً يا بنى إذا اعترى *** خطبٌ ولا تنفرقوا آحادا
تأبى الرماح إذا اجتمعنْ تكسراً *** وإذا افترقْنَ تكسرتْ أفرادا

الشام اليوم

المصادر: